مقاصد الشريعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله ، الذي علَّم القرآن ، خلق الإنسان ، علَّمه البيان ، والصلاة والسلام على الإنسان الكامل ، معلم الناس الخير ، ومرشد البشرية إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم، محمد رسول الله ، وبعد :

فقد كرَّم الله الإنسان ، واصطفاه على سائر خلقه ، وجعله سيِّداً في الأرض ، وأمدَّه بالوحي السماوي ، والرعاية الإلهية ، والشرع القويم ، وأرسل له الأنبياء والرسل ، وأنزل عليه الكتب ، ليسير على الهدي السديد ، والصراط المستقيم ، وشرع له الأحكام لبيان الحقوق والواجبات .

ولكن الإنسان ظلوم جهول ، وجُبل على العدوان والشر أحياناً ، وكثيراً ما يكون ذئباً على أخيه الإنسان ، إن لم يكن أشد فتكاً بالناس من الوحوش الضارية .

وظهر ظلم الإنسان للإنسان والاعتداء عليه طوال التاريخ في صور عديدة ، وتحت شعارات مختلفة ، ولأسباب متنوعة ، داخلية وخارجية ، عرقية وعنصرية ، أخلاقية ومالية ، دينية واقتصادية ، وخاصة في العصور المظلمة في أوربة ، المسماة العصور الوسطى ، مع غياب العقيدة الصحيحة ، والدِّين الحق ، والشريعة السمحاء ، وتكرر الدمار والإبادة للإنسان من أخيه الإنسان في القرن العشرين في عدة

حروب ، ثم كانت الحرب المدمرة الفتاكة الأولى في القرن الحادي والعشرين ، وقد يتفاقم الظلم والعدوان في إطار الأسرة الواحدة .

وقام المفكرون والمصلحون في أوربة خاصة ، وفي العالم عامة ، يحذِّرون من هذا الظلم والعدوان ، ويَدْعون للاعتراف بحقوق الإنسان ، حتى ظهر لأول مرة إعلان حقوق الإنسان في فرنسا ، عام ١٧٨٩م ، ولكنه اقتصر على الدِّعاية ، وكان مجرد شعار ، لكنه ترك أثره في توعية الأفراد والشعوب ، حتى صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م ، ثم الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، والاتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية والسياسية عام ١٩٦٦م ، وظهرت منظمات حقوق الإنسان .

ومع غياب الوعي الإسلامي الشامل خلال القرنين الماضيين ، وتخلف المسلمين ، وإلغاء تطبيق الشريعة الإسلامية في معظم البلاد الإسلامية ، وفرض الفكر الأجنبي ، والغزو الثقافي ، والقوانين المستوردة ، اختل وضع المواطن المسلم ، وظهرت انتهاكات الحقوق ، وارتفع على الأفق السؤال والاستفسار عن حقوق الإنسان في الإسلام ، فنهض العلماء والدعاة والمصلحون لبيان تكريم الله للإنسان ، وأن الشرع الحنيف جاء ـ أصلاً ـ من أجل الإنسان ، وأن مقاصد الشريعة المقررة أساساً هي المنطلق الرئيسي لإنسانية الإنسان ، وهي المرجعية الوحيدة لحقوق الإنسان ، وهذا يستدعي العودة أولاً لحظيرة الدين ، لينعم الإنسان بظلال الشريعة الوارفة ، ويمارس عملياً حقوق الإنسان ، ويطبقها فعلاً ، وليس دعاية وشعارات ، وهذا موضوع البحث في هذه الورقات المعدودة ، لنذكِّر بمقاصد الشريعة ، وما تحتويه من حقوق ، وما تتضمنه من التزام حقيقي بذلك ، دون الوقوف وراء النصوص البراقة ، والدعايات الخادعة ، والمتاجرة بالمبادئ ، والكيل بمكيالين ،

والتستر وراء منظمات حقوق الإنسان لتسويق السموم والأهداف الاستعمارية الفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية ، للتأكيد أن الله تعالىٰ قرَّر حقوق الإنسان لخلقه ، وبيَّنها في شرعه ، وجعلها واجبات دينية فرض أداءها على العباد ، لتأخذ طريقها للتطبيق الصحيح ، مع الثواب لفاعلها ، والعقاب الديني والدنيوي لمن يتجاوزها ، أو ينتهكها .

ونسأل الله التوفيق والسداد ، وعليه التكلان ، ملتزمين بقول الحق سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٥٥] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق : ٤٥] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية : ٢١-٢٢] .

* * *